صفات عباد الرحمن

١٣٠١

المسابقة إلى الخيرات

مجدي فتحي

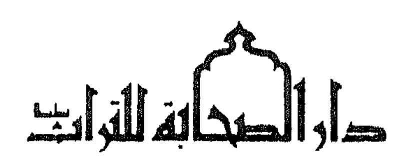
دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر والتحقيق والتوزيع

سلسلة

من صفات عباد الرحمن

(٣٠)

المسابقة إلى الخيرات



للنشر والتحقيق والتوزيع

ت ٣٢١٥٨٧ - ص ب ٤٧٧

كتاب قد حوى درراً بعين الحسن ملحوظة

لهذا قلت تنبيهاً

لدار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر والتحقيق والتوزيع

ت : ٣٣١٥٨٧ - ص. ب : ٤٧٧

شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون

الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَاأَيُّها النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً واتَّقُواْ الله الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كان عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3].

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

وبعد .

بحمد الله وتوفيقه تقوم المكتبة بإعداد سلسلة كتيبات طيبة لإحياء الفضائل التى ربما تكون قد اندثرت فى هذا الزمان ، بأسلوب ميسر ، وهذا الكتاب من تلك السلسلة .

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(٢) سورة النساء : ١ .

(٣) سورة الأحزاب : ٧١ .

بين يدى الكتاب

الحمد لله الذى وفقنا فى إصدار هذه السلسلة الطيبة من صفات عباد الرحمن تلك السلسلة التى أخرجناهامن كلام السلف الصالح لنحيى بها قلوب الخلف . إن أمنية كل إنسانٍ على الأرض هى أن يشعر أن الله قد رضى عنه ، وأحبه ، وتقبل منه سائر أعماله .

تلك الرغبة الملحة لن يصل العبد إليها حتى يكون من عباد الرحمن ، وللوصول إلى تلك المرتبة لأبُدّ للمرء من التمسك بصفات عباد الرحمن .

ومن باب التعاون على البر والتقوى شرح الله صدورنا أن نعمل فى تلك السلسلة الطيبة التى يُراد منها :

١ – إيجاد المسلم والمسلمة المتصف بالأخلاق والآداب الإسلامية .

٢ – إظهار فضائل الإسلام وشمائله .

٣ – العمل على إيجاد المجتمع الإسلامى المتحاب فى الله .

٤ – تنقية المجتمع من الرذائل بذكر فضل تلك الصفات الطيبة .

٥ – السعى نحو الوصول إلى رضى الله .

فنسأل المولى تبارك وتعالى ، أن يجعلنا من عباد الرحمن ، الذين يحبهم ويحبونه ، ويرضى عنهم ، ويرضوا عنه ، وهو أهل التقوى وأهل المغفرة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبو مريم / مجدى فتحى السيد

﴿ نظرة لغوية ﴾
بين يدى الكتاب

السَّبْق : القُدْمةُ فى الجرى وفى كل شىء ، فى الحسيات والمعنويات ، والتسابق : من الاستباق ، وهو الذى يكون بين أكثر من واحد ، وكل واحد منهم يبذل أقصى ما لديه من طاقة حتى يسبق غيره .

ويقال : له سابِقةٌ فى هذا الأمر إذا سبق الناسَ إليه ، وأسْبَقَ القومُ إلى الأمر وتسابقوا : أى بادروا .

وقوله تعالى : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾[1]: أى بادروا إليها ، وقوله : ﴿ فاستبقوا الصراط ﴾[2]؛ أى جاوزوه وتركوه حتى ضلّوا ، وقوله : ﴿ السابقون السابقون ﴾[3]: أى المتقدمون إلى ثواب الله ، المتنافسون على جنته بالأعمال الصالحة .

وقد تدل مادة (السبق) على معنى فوات اللحوق بالشىء ، فيقال : سبق الطريد ، أى فات وأفلت من الطلب ، وعلى هذا المعنى جاء قول الله تعالى : ﴿ أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون ﴾[4] والمعنى : هل حسب من قاموا بالسيئات أن يفوتونا ، ويفلتوا من طلبنا لهم . وعلى هذا المعنى يأتى قوله تبارك وتعالى : ﴿ فاستكبروا فى الأرض وما كانوا سابقين ﴾[5] ولكن القرآن فيه من الكلمات ما يعطى نفس المعنى ، بل يزيده أحياناً قوة فوق ما هو عليه من القوة ، فعندما نتأمل فى كلمة (المنافسة) نجد التالى : يقال :

---

(١) سورة البقرة : ١٤٨ .

(٢) سورة يسٓ : ٦٦ .

(٣) سورة الواقعة : ١٠ .

(٤) سورة العنكبوت : ٤ .

(٥) سورة العنكبوت : ٣٩ .

الباب الأول

يشتمل على التالى :

الفصل الأول : الدعوة إلى المسابقة فى الخيرات فى القرآن الكريم .
الفصل الثانى : الدعوة إلى المسابقة فى الخيرات فى السنة المطهرة .
الفصل الثالث : أثر التسابق فى الخيرات على الفرد والمجتمع .

نافَسْتُ فى الشيء مُنافَسةً ونِفاساً إذا رغبت فيه على وجه المباراة فى الكرم . ولقد عرف بعضهم المنافسة بأنها مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل ، والاجتهاد فى اللحوق بهم دون إلحاق ضرر بالغير .

ولقد حض القرآن الكريم على المنافسة ، ولكن فى إطار الخيرات التى توصل إلى رضا الرحمن ، والفوز بالجنان ، فقال عز وجل : ﴿ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾[٦] أما إن كانت المنافسة على حطام الدنيا الزائل ، فقد ذم القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ذلك النوع من التنافس .

وعندما نتأمل فى كلمة (المسارعة) نجد أن السرعة فى الأصل هى النقيض لكلمة (البطء) ولكن يقال : أسرع ، وسارع أى : بادر فى اللحوق بالشيء ، وعلى هذا يكون قوله جل شأنه : ﴿ يسارعون فى الخيرات ﴾[٧] يعنى يمضون نحوها مسرعين ، ويعملون لها مبادرين .

وعندما نحصى مادة (سبق) فقط نجد أنها وردت فى القرآن بمعانيها الكثيرة ، المتفرعة (٣٧) مرة وتصاريفها كالتالى : سَبَقَ ، سَبَقَتْ ، سبقكُمْ ، سبقُوا ، سبقُونَا ، نَسْبِقُ ، يَسْبِقُونَا ، يَسْبِقُونَهُ ، سَابِقُوا ، اسْتَبَقَا ، اسْتَبَقُوا ، نَسْتَبِقُ ، اسْتَبِقُوا ، سَبْقاً ، سَابِقٌ ، السَّابِقَاتِ ، السَّابِقُونَ ، سَابِقِينَ ، مَسْبُوقِينَ .

وهكذا تنتهى رحلتنا اللغوية مع المسابقة إلى الخيرات ، لنبدأ مع رؤية هذا الفضيلة ، وكيف يقوم المرء المسلم بالاتصاف بها فى حياته العملية .

---

(٦) سورة المطففين : ٢٦ .

(٧) سورة الأنبياء : ٩٠ .

الفصل الأول
الدعوة إلى الإحسان وفعل الخير
فى القرآن الكريم

حدثنا القرآن الكريم عن فعل الخيرات ، وجزاء فاعله ، وأثر هذا الأمر فى المجتمع الإسلامى .

فالمسارعة فى الخيرات ، والتسابق إليها من الأمور التى دعا إليها بقوة ربنا تبارك وتعالى ، فقال جل شأنه : ﴿ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ﴾[٨] فالحديث عن التسابق فى الخيرات عذب ممتع ، وقد حدثنا القرآن عن هذا الفضل ، ودعا إليه بقوة ، لأن الحياة غير مأمونة ، والآجال غير معلومة ، والنهاية محتومة .

وما يمكن أن تقوم اليوم به ، قد يكون غير ممكن غداً .

واليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل .

فلقد أخبر عز وجل أن من الأسباب التى صلح بها حال زكريا – عليه السلام – وأصلح الله له زوجه ، وأجاب دعائه : ﴿ إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ﴾[٩].

أخى المسلم .... أختى المسلمة .

إن الفرصة إذا لم يغتنمها صاحبها انقلبت إلى حسرة .

وقد تتهيأ لك الأسباب اليوم ، ولا تتهيأ غداً .

فازرع اليوم ، لتحصد فى الغد ، وإن الغد لناظره لقريب .

---

(٨) سورة البقرة : ١٤٨ .

(٩) سورة الأنبياء : ٨٩ .

يقول الشاعر :

ليس فى كل ساعة وأوان تتهيأ صنائع الإحسان
فإذا أمكنت فبادر إليها حذرا من تعذر الإحسان

فهيا بنا نجول مع القرآن الكريم ، وهو يحدثنا عن الإحسان ، وفعل الخير ، قال تبارك وتعالى ذاكراً أصنافاً من الخيرات ، مادحًاً لأهلها : ﴿ الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ﴾(١٠).

وحذر ربنا – جل شأنه – من الشح ، وبين أثره السيىء ، مبينا فضل الإحسان : ﴿ وأنفقوا فى سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، وأحسنوا ، إن الله يحب المحسنين ﴾(١١).

ولقد دعانا المولى إلى أبواب الفلاح والنجاح ، دعانا إلى الفوز الأكبر ، إلى السلعة الغالية ، دعانا إلى الجنة فقال عز من قائل : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها السموات والأرض ، أعدت للمتقين ﴾(١٢).

ولكن لنسأل أنفسنا قبل أن نكمل المسير هذه الأسئلة :

أليس مدح الله للإنفاق ، وللكاظمين الغيظ ، وللعافين عن الناس فيه دعوة إلى التسابق فى الخيرات ؟

أليست دعوة الله بالمسارعة إلى المغفرة ، دعوة إلى التسابق فى الخيرات ؟

بل أليس الدخول فى الجنة يتوقف على التسابق فى الخيرات ؟!!

---

(١٠) سورة آل عمران : ١٣٤ .
(١١) سورة البقرة : ١٩٥ .
(١٢) سورة آل عمران : ١٣٣ .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين ﴾[13].

عندما نقرأ تلك الآية نقول : أى شيء قال هؤلاء حتى فازوا بهذا النعيم ؟ ولكن بغض النظر عما قال هؤلاء ، أليس فى نهاية المطاف أن ما قالوه هو ما يرضى الله عنهم .

ومن ذلك فائدة وعظة لنا ، هى أن نتسابق فى أن نقول ما يرضى الله عنا .

وقال جل شأنه : ﴿ إن المتقين فى ظلال وعيون * وفواكه مما يشتهون * كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون * إنا كذلك نجزى المحسنين ﴾[14].

نتأمل فى تلك الآية الكريمة فنجد أنه يتحتم علينا أن نتسابق فى العمل ، الذى يصل بنا إلى درجة المتقين ، لنصل إلى دار النعيم .

من كل تلك الآيات تعلم يقينا أن السابقين هم أهل الفضيلة ، والفوز والفلاح فى الدنيا والآخرة .

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ والسابقون السابقون * أولئك المقربون * فى جنات النعيم * ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين ﴾[15].

فاعمل عبد الله على أن تكون من تلك القلة ، حتى تأمن من عذاب ، وتفوز فى أخراك برضاه .

---

(١٣) سورة المائدة : ٨٥ .

(١٤) سورة المرسلات : ٤١ - ٤٤ .

(١٥) سورة الواقعة : ١٠ - ١٤ .

الفصل الثانى

[الدعوة إلى المسابقة فى الخيرات]

فى السنة المطهرة

كما دعا القرآن الكريم إلى فضيلة التسابق فى الخيرات ، دعت السنة المطهرة ، فإليك باقات من أحاديث النبى ﷺ التى تحض على هذا الأمر ، وتمدح صاحبه .

الحديث الأول :

عن عبد الله بن دينار عن بعض أصحاب النبى ﷺ قال : قيل : يا رسول الله من أحب الناس إلى الله ؟

قال : « أنفعهم للناس[١٦]، وإن أحب الأعمال إلى سرور تدخله على مؤمن : تكشف عنه كربا ، أو تقضى عنه دينا ، أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشى مع أخى المسلم فى حاجة[١٧] أحب من أن أعتكف[١٨] شهرين فى مسجد ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه[١٩]، ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا ، ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجة حتى يثبتها له ، ثبت الله قدمه يوم تزل فيه الأقدام ، وإن سوء الخلق ليفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل »[٢٠].

---

(١٦) أى أكثرهم نفعاً للمسلمين ، وسعياً فى قضاء مصالحهم ، وما لهم من حوائج .

(١٧) أى فى قضاء حاجة له .

(١٨) الاعتكاف هو المكث فى المسجد للعبادة ، وهو مؤكد فى العشر الأواخر من رمضان ، بل هو سنة عن رسول الله ﷺ .

(١٩) أى حبسه ، ومنعه ، وكتمه فى نفسه .

(٢٠) إسناده حسن ، أخرجه ابن أبى الدنيا (٣٦) فى قضاء الحوائج .

عندما نتأمل فى هذا الحديث نجد أنه يحدد لنا الأشياء التى ينبغى أن نتسابق عليها ، وكأن هذا الحديث أصل فى المسابقة إلى الخيرات .

وبالتفكر نجد أنه يحتوى على ما يلى :

١ - كشف الكرب عن المسلمين المكروبين .
٢ - قضاء الديون للمسلمين العاجزين عن أدائها .
٣ - إطعام الطعام ، وكف الجوع عن الجائعين .
٤ - المسارعة فى قضاء حوائج الاخوان .
٥ - كف الغضب ، والتحلى بالخلق الحسن .

وسوف نوضح ، ونفصل الأمر فى كل ركن وسبب من هذه الأسباب فى الأبواب التالية ، ولكننا الآن فى بيان الدعوة إلى المسابقة إلى الخيرات ، وفضل فعل الإحسان كما فى السنة المطهرة .

الحديث الثانى :

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يسلمه[٢١]، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة »[٢٢].

الحديث الثالث :

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(٢١) أسلمه : يقال أسلم فلان فلاناً إذا ألقاه فى الهلكة ، ولم يحمه من عدوه ، وهو عام فى كل من أسلم إلى شىء ، لكن دخله التخصيص ، وغلب عليه الالقاء فى الهلكة .
(٢٢) إسناده صحيح .
أخرجه البخارى (١٦٨/٣) ، ومسلم (١٣٤/١٦) ، وأحمد (٢٤/٥ ، ٢٥ ، ٧١) .

« الدال على الخير كفاعله »[٢٣].

عندما نتوقف مع هذين الحديثين الآخرين نجد أنهما دعوة صريحة إلى التسابق فى الخيرات ، والنبى ﷺ إنما كان يذكر هذه الأمور لكى يشحذ من عزائم المسلمين ، ويبين لهم سعة طرق الخير .

الحديث الرابع :

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :

« بادروا بالأعمال فتنا لقطع الليل المظلم : يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ، أو يمسى مؤمنا ، ويصبح كافرا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا »[٢٤].

وعندما نتوقف مع هذا الحديث نجد أنه دعوة واضحة – كالقمر فى ليلة البدر – إلى المسابقة فى الخيرات ، ولذا لما سمع أصحاب النبى ﷺ ، وسلفنا الصالح ، ومن بعدهم من محسنى هذه الأمة هذا الحديث تسابقوا إلى الخيرات ، وتنافسوا فى الباقيات الصالحات ، وهذا سوف نوضحه جليا فيما يلى .

---

(٢٣) إسناده صحيح .
أخرجه الطحاوى فى « مشكل الآثار » (١/٤٨٤) ، وأحمد (٥/٢٧٤) ، والخرائطى (ص/١٦ – ١٧) فى مكارم الأخلاق ، وابن حبان (٨٦٧ ، ٨٦٨) .

(٢٤) إسناده صحيح .
أخرجه مسلم (٢/١٣٣) ، والترمذى (٢٢٩١) ، وأحمد (٢/٣٠٤ ، ٥٢٣) .
قال الإمام النووى رحمه الله :
معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها ، والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة ، كتراكم الليل المظلم لا المقمر ، ووصف ﷺ نوعاً من شدائد تلك الفتن ، وهو أنه يمسى مؤمناً ، ثم يصبح كافراً ، أو عكسه شك الراوى ، وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان فى اليوم الواحد هذا الانقلاب ، والله أعلم .

الحديث الخامس :

عن عبد الله بن سلام – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :

« يا أيها الناس : أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام »(٢٥).

وهكذا نستطيع أن نستخلص مما سبق أن السنة النبوية قد دعت بقوة إلى التسابق فى الخيرات ، بل وحددت له الكثير من الأمور التى ينبغى أن تكون فيها المسابقات ، سواء كانت فى صورة مادية ، كالصدقات مثلاً ، أو معنوية كالأخذ بمكارم الأخلاق مثلاً .

ولكن يطرأ تساؤلٌ ما هى الفوائد المرجوة من هذا التسابق ؟! وللإجابة عن هذا التساؤل ، نقول ما يلى خلال الصفحات التالية .

---

(٢٥) إسناده صحيح .

أخرجه الترمذى (٢٦٠٣) ، وابن ماجه (١٣٣٥) ، (٣٢٥١) ، وأحمد (٥/٤٥١) ، والدارمى (١/٣٤٠) ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى .

قال العلامة المباركفورى رحمه الله :

قوله : (يا أيها الناس) خطاب عام بكلمات جامعة للمعاملة مع الخلق والحق .

قوله : (أفشوا السلام) أى أظهروه وأكثروه على من تعرفونه ، وعلى من لا تعرفونه .

قوله : (وصلوا بالليل والناس نيام) لأنه وقت الغفلة فلأرباب الحضور مزيد المثوبة ، أو لبعده عن الرياء والسمعة .

قوله : (تدخلوا الجنة بسلام) أى من الله ، أو من ملائكته ، من مكروه ، أو تعب ، ومشقة . انتهى نقلا عن تحفة الأحوذى (٧/١٨٨) .

الفصل الثالث

أثر التسابق فى الخيرات على الفرد والمجتمع

يترتب على وجود مبدأ التسابق فى الخيرات فى الحياة الإسلامية الكثير من المصالح الدنيوية والآخروية للفرد والمجتمع ، فى وقتٍ واحدٍ .

أما بالنسبة للمجتمع الإسلامى بأكمله :

١ – سترتفع المعاصى من المجتمع ، فالكل يتسابق فى فعل الخير ، والكل يبحث عن خيرٍ ، يرتفع به عن الآخرين ، ومن باب أولى فالكل يعمل على البُعد عن الخطايا ، والذنوب .

وهذه الفائدة لا يستهان بها ، فكون المعاصى ارتفعت من المجتمع يعنى أن الخيرات تواجدت فى كل مكان ، وهذا أمر يُريد منا الإسلام أن نصل إليه .

٢ – أن بالتسابق فى الخيرات سيشعر كُل فردٍ أنه مسئول عن إصلاح شأنه ، والتحلى بمكارم الأخلاق ، ومعالى الأمور ، وأنه مطالب بالتخلى عن الرذائل ، والتحلى بالفضائل .

وهذا يعنى صلاح الفرد ، وفى صلاح كل فرد ونقائه ، صلاح كل المجتمع وطهارته من كل خبيث .

٣ – ظهور عنصر التسابق فى الخيرات فى حياة كل مسلمٍ يعنى شيوع المحبة بين أبناء المجتمع ، وهذا مما يساعد على استقرار المجتمع ، وأَمْنِهِ .

٤ – التسابق فى الخيرات ، سيجعل من كل فردٍ يعمل على إجادة عمله ، والتفنن فيه ، مما يساعد على زيادة الإنتاج ، فيحيا المجتمع حياة سعيدة ، وعيشة هنيئة .

٥ – التسابق فى الخيرات سيجعل من أبناء المجتمع متراحمين ، لأن كل منهم يتسابق فى كسب ود أخيه ومحبته ، والعمل على سروره ، وبهجته .

وإذا تراحم أبناء المجتمع شاعت بين أفراده المحبة والسرور ، وارتفعت البغضاء والخصام ، وعاش الجميع يعمل الخير ويتسابق عليه .

٦ – التسابق فى الخيرات سيحرك همم أفراد المجتمع للعمل للآخرة ، والبُعد عن ما يجلب الخسارة ، فيشعر المرء بمعنى التسابق فى الخيرات الباقية ، لا الخيرات الفانية .

٧ – ظهور عنصر التسابق فى الخيرات فى حياة كل مسلمٍ يعنى التخلى عن الحقدِ والحسدِ ، والبُعد عن البغضاء والشحناء .

وفى كل ذلك خلاص المجتمع من آفاتٍ عظيمة ، وأمراضٍ سقيمة .

٨ – أن المجتمع ستأتى عليه اللحظة التى يشعر فيها أنه يستطيع أن يكون على قلب رجلٍ واحد ، وهذا من المعانى الطيبة التى تُراد فى الإسلام .

٩ – أن التسابق فى الخيرات سيجعل من السهل على المسلمين الذين اجتمعوا من قبل فى الخيرات أن يقفوا صفاً واحداً أمام كل محنة وبلاء .

١٠ – سيخلو المجتمع من البطالين ، والعاطلين بعد أن وجد كل منهم طريقه السليم ، وعمله الدائم الذى لا يفارقه سواء كان يعمل أولا ، صحيحاً أو مريضاً ، فالتسابق فى الخيرات قد فتح أمام الكل آفاق أوسع ، وأشمل لمعنى كلمة الحياة .

هذه بعض الفوائد التى حتماً بمشيئة الله عز وجل سيخرج بها المجتمع من التسابق فى الخيرات .

وجاء الآن دور الحديث عن الفوائد التى يحصل عليها الفرد .

أما عن الآثار والفوائد المرجوة للفرد من وراء التسابق فى الخيرات ، فهذا بعضها :

١ - أن التسابق فى الخيرات يجعل من الفرد مسئولاً عن الوصول إلى ما يصبو إليه من هدفٍ ، مما يساعده على أن يكون ذا شخصية مستقلة ، قادرة على تحمل ما يُطلب منها من صعاب .

٢ - أن التسابق فى الخيرات من الأمور التى تساعد كل فردٍ على الوصول إلى معنى الأخوة الذى يؤدى بدوره إلى شيوع المحبة بين كل فرد لأخيه الآخر .

٣ - التسابق فى الخيرات يعلم المسلم أنه أخو المسلم ، فيعمل على أن لا يظلمه ، ولا يخذله ، ويسعى فى تفريج كربته ، وكشف غمته ، وستر عورته ، وطرد جوعته .

٤ - التسابق فى الخيرات يعلم الفرد أن يجعل من الخير هدفه ، فيسعى دائماً فى الوصول إليه ، والتمسك به ، وعدم التفريط فيه .

٥ - التسابق فى الخيرات يجعل المرء يشعر بحيائه إن قصر أو فرط ، مما ينمى داخله عنصر الحياء من التقصير ، والبُعد عن التفريط .

٦ - التسابق فى الخيرات يجعل المرء فى شغفٍ إلى الوصول إلى الخير الذى لم يصل إليه أحد أقرانه ، والبحث عن أنواع الخيرات التى لم يتعرف عليها أصحابه ، والسؤال عن أعلى أنواع الخيرات للتمسك بها .

مما يساعده كفردٍ على الامتلاء بحب الخير والمسارعة إليه .

٧ - أن الفرد سيبتعد عن الآثام والخطايا ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وذلك لأنه يعمل على ترك المعاصى للفوز بالخيرات .

فيترك الحقد والحسد ، ويتمسك بالحب والوئام ، ويترك الجدال والمراء ، ويتمسك بالموافقة والإجماع ، ويترك الغيبة والنميمة ويتمسك بالذكر الطيب والثناء

الجميل .

ويترك الكذب ويتمسك بمعاريض الكلام ، ويترك الغضب ، ويتمسك بالحلم ، ويترك البخل ، ويتمسك بالكرم والجود ، ويترك العُجب والكبر والغرور ، ويتمسك بالتواضع والإخبات واللين .

ويترك مصاحبة الأشرار ، ويصاحب الأخيار .

ويترك التكهن والأبراج المحظوظة ، ويتمسك بالتوكل على الرحمن .

ويترك السخط على القضاء ، ويتمسك بالرضا عند البلاء .

وهكذا حتى يتخلص من أمراضه وأسقامه القلبية والنفسية .

٨ - ومن تلك الفوائد : أنه لن يجد أمامه من الأوقات ما يضيع سُدى ، كل أوقاته ستملأ بالتسابق فى فعل الخيرات ، والعمل على ترك المنكرات ، وهذا يؤدى به كفرد إلى الشعور بقيمة العمر ، ولذة الوقت ، والحسرة عند فواته .

٩ - ومن تلك الفوائد : إحساس الفرد بمعنى العمل للآخرة وقيمته ، وعدم الإكثار من التنافس على الأمور الدنيوية التى لا تسمن ولا تغنى من جوعٍ .

وأخيراً

التسابق فى الخيرات يشعر معه المرء المسلم أنه إنسان له أهداف سامية ، يستطيع عندما يعمل للوصول إليها أن يكون نافعاً لنفسه فى الآخرة ، ونافعاً لقومه فى الدنيا .

ويالها من سعادةٍ لمن فاز بالسعادتين فى الدنيا والآخرة .

الباب الثانى ويشتمل على :

١ – المسابقة فى قراءة القرآن وحفظه وتلاوته .
٢ – الاجتهاد فى العبادة .
٣ – التحاب فى الله .
٤ – تقديم أعمال الآخرة على أعمال الدنيا .
٥ – الزهد فى الدنيا .
٦ – التنافس فى الإيثار والمواساة .

المسابقة فى قراءة القرآن وحفظه وتلاوته

أخى المسلم .... أختى المسلمة

مدح الله عز وجل التالين لكتابه ، فقال جل شأنه :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَ أَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[٢٦].

أما آن لنا أن نقرأ فى كتاب الله ونتعلم منه الخير الذى فيه بعد طول هجرٍ له ، وبُعدٍ عن هداه .

تقول عائشة - رضى الله عنها - قال رسول الله ﷺ :

« الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن وهو يتتعتع[٢٧] فيه ، وهو عليه شاق له أجران[٢٨] » هل بعد هذا الفضل يتكاسل المرء عن التسابق فى قراءة القرآن .

إن للمرء فى كل قراءة للقرآن مئات الآلاف من الحسنات ، فإن فى الحرف الواحد عشر حسنات ، فما بال من يقرأ سورة كاملة ؟!!

---

(٢٦) سورة فاطر : ٢٩ - ٣٠ .

(٢٧) يتتعتع : يجد صعوبة ومشقة .

(٢٨) البخارى (٥١٨/١٣ فتح) ، ومسلم (٧٩٨) ، وأبو داود (٥٤٥٤) ، والترمذى (٢٩٠٤) ، وابن ماجة (٣٧٧٩) ، وأحمد (٤٨/٦ ، ٩٤ ، ١١٠ ، ١٩٢) .

فعن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :
« من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى ، فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول الٓمٓ حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »[(٢٩)].

هنيئاً لمن تسابق فى قراءة القرآن ، وهنيئاً لمن تسابق فى ختم القرآن . إن سلفنا الصالح لما عرفوا فضيلة ذلك تنافسوا فى قراءة القرآن وختمه ، فروى ابن أبى داود عن بعض السلف رضى الله عنهم ، أنهم كانوا يختمون فى كل شهرين ختمة واحدة .

وعن بعضهم فى كل شهر ختمة .
وعن بعضهم فى كل عشر ليالٍ ختمة .
وعن بعضهم فى كل ثمان ليالٍ ختمة .
وعن الأكثرين فى كل سبع ليالٍ ختمة .
وعن بعضهم فى كل ست ليالٍ ختمة .
وعن بعضهم فى كل خمس ليالٍ ختمة .
وعن بعضهم فى كل أربع ليالٍ ختمة .
وعن كثيرين فى كل ثلاث ليالٍ ختمة .

ويكره أن يختم القرآن فى أقل من ثلاث ليالٍ ، لما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال :

« لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث »[(٣٠)].

---

(٢٩) صحيح . أخرجه الترمذى (٢٩١٠) ، وابن أبى شيبة (٤٦٢/١٠) ، والدارمى (٣٣١٨) ، وعبد الرزاق (٦٠١٧) فى مصنفه ، وابن المبارك (٨٠٨) فى الزهد ، والحاكم (٥٦٦/١) ، والطبرانى (٨٦٤٩) فى الكبير ، وأبو نعيم (٢٦٣/٦) فى الحلية .

(٣٠) صحيح . أخرجه أحمد (١٩٥/٢) وأبو داود (١٣٩٠) ، والترمذى (٢٩٤٩) ، وابن ماجه (١٣٤٧) ، والدارمى (١٥٠١) والطيالسى (٢٢٧٥) .

وقال أبو الأحوص الجشمى - رحمه الله - مبيناً فضل السلف فى التسابق فى هذا الخير : -

« إن كان الرجل ليطرق الفسطاط طروقاً - أى يأتيه ليلاً - فيسمع لأهله دويّاً كدوى النحل ، فما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون »[31].

سبحان الله ، فماذا كان الجشمى يقول لو رأى أحوالنا فى زمننا هذا ؟!

إنها عظةٌ لمن أراد العظة ، وتذكرة لمن أراد التذكرة .

* * *

(٣١) صحيح . أخرجه ابن المبارك (٩٨) فى الزهد ، ووكيع فى الزهد (١٥٢) .

التسابق فى التسليم لأمر الله تعالى
والرضا بقضائه

أخى المسلم .... أختى المسلمة ..

كان سلفنا الصالح يتسابق فى التسليم لأمر الله تعالى ، والرضا بقضائه وقدره ، عند فقد ولد ، أو أخ ، أو زوجة ، أو أحد من الأقارب أو المحبوبين .

فكان حاتم الأصم رحمه الله تعالى يقول : -

« إذا رأيتم صاحب المصيبة قد مزق ثيابه ، وأظهر الجزع ، فلا تعزوه ، فإنه صاحب إثم ، فمن عزاه فقد شاركه فى الإثم ، وإنما الواجب نهيه عن ذلك » .

وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله يقول : -

« من أصيب بمصيبة فليفعل فى اليوم الأول ، ما يفعله فى اليوم الخامس من مصيبته » يعنى من الضحك ، والتسلى بثواب الله وأجره .

وكان عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - يقول :

« لأن أمنع جمرة من النار على طرف لسانى ، ثم أعض عليها أحب إلىَّ من أن أقول لأمرٍ قضاه الله ليته لم يكن » .

وظهر ذات مرة فى يد محمد بن واسع قرحة شديدة ، فقال له رجل من أصحابه ، والله إنى لأرحمك من أجل هذه .

فقال محمدٌ : إن كنت تحبنى يا أخى فاشكر الله تعالى معى الذى لم يطلعها فى لسانى ، أو فى عينى ، أو فى أذنى .

ولما سقطت مقادم أسنان معاوية - رضى الله عنه - قال :

الحمد لله الذى لم يذهب سمعى ولا بصرى .

فأنظر أخى المسلم ، وأنت أختى المسلمة إلى معنى التسابق فى الرضا على قضاء الله وقدره .

واعلم أن ما أصابك - أخى المسلم - لم يكن ليخطئك ، وأنت أختى المسلمة أن ما أخطأك لم يكن لينزل بك .

* * *

من أنواع التسابق فى الخيرات
الاجتهاد فى العبادة

أخى المسلم ... أختى المسلمة

من أبواب الخير التى تنافس فيها سلفنا الصالح ، وتسابقوا : الاجتهاد فى طاعة الرحمن .

فإذا نظر المرء إلى سيرة السلف الصالح ، ورأى ما كان عليه حالهم من التعبد للرحمن ، والخضوع بين يديه ، يتعجب المرء من حال أهل زمننا الذى فرط حتى فى المفروضات ، بعد أن أضاعوا التطوعات .

لقد اشتد سلفنا الصالح فى العبادة ليلاً ونهاراً ، رجالاً ونساءاً .

● ● يقول الحسن البصرى رحمه الله فى وصفهم :

« لقد أدركت أقواماً ، وصحبت طوائف فما كانوا يفرحون بشىءٍ من الدنيا أقبل ، ولا يحزنون على شيءٍ أدبر ، وكانت فى أعينهم أهون من التراب الذى يطأون عليه ، وكانوا عاملين بكتاب ربهم ، وسنة نبيهم ﷺ ، وكانوا إذا جنهم الليل قاموا على أقدامهم ، وافترشوا وجوههم ، وجرت دموعهم على خدودهم ، حتى كان يظن الداخل لهم أن هذا من ماء الوضوء .

● ● وكان أبو الدرداء – رضى الله عنه – يقول : لولا ظمأ الهواجر ، وقيام الليل ما أحببت البقاء فى هذه الدار .

● ● وكان الفضيل بن عياض – رحمه الله – يقول : كان الصحابة – رضى الله عنهم – يصبحون شعثاً غبراً ، قد باتوا سجداً وقياماً ، يراوحون بين أقدامهم وجباهم ، وكان إذا ذكر الله عز وجل تهمل أعينهم حتى تبتل ثيابهم ، وتصير دموعهم كآثار ماء الوضوء ، فإذا كان وقت السحر يدهنون وجوههم

ويكتحلون ، كأنهم باتوا غافلين نائمين .

سبحان الله على التجرد لله ، والإخلاص له ، والإنابة إليه .

● ● وكان أبو موسى الخولانى إذا غفل عن عبادة الله وانشغل ، قال لنفسه : قومى للعبادة ، إنك أولى بالضرب من الدابة لموضع عقلك ، وكثرة دعاويك .

● ● وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول : لقد أدركنا قوماً كانوا فى العبادة على حدٍ لا يقبل الزيادة .

● ● وكان القاسم بن محمد رحمه الله تعالى يقول : رأيت أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – تصلى الضحى ، فإذا هى قائمة تقرأ : ﴿ فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم ﴾[٣٢] وتدعو وتبكى ، وترددها .

فقمت حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتى ، ثم رجعت فإذا هى قائمة كما هى ، تصلى وتبكى .

● ● وقال سويد بن عمرو الكلبى :

كانت امرأة عابدة عندنا ، فكانت لا تنام من الليل إلا يسيراً ، فعوتبت فى ذلك ، فقالت : كفى بالموت ، وطول الرقدة فى القبور للمؤمنين رقاداً .

● ● وكانت عجردة العمية العابدة تقوم من أول الليل إلى السحر ، فإذا كان السحر نادت بصوتٍ محزونٍ :

إليك قطع العابدون دجى الليالى بتبكير الدجى إلى ظلم الأسحار ، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك ، فبك إلهى لا بغيرك أسألك أن تجعلنى فى أول زمرة السابقين إليك ، وأن ترفعنى إليك فى درجة المقربين ، وأن تلحقنى فى عبادك الصالحين ، فأنت أكرم الكرماء ، وأرحم الرحماء ، يا كريم ، ثم تخر ساجدة فلا تزال تبكى وتدعو ربها .

---

(٣٢) سورة الطور : ٢٧ .

أما آن أخى المسلم أن تترك الكسل ، والغفلة ، وتبتعد عن الفتور والبطالة ؟!

أما آن أختى المسلمة أن تستعدى بزادٍ من التقوى ؟

أما آن لنا جميعاً أن نتسابق إلى التعبد والخضوع بين يدى رب العالمين ؟!

قال الشاعر الحكيم :

قد مضى فى اللهو عمرى	وتناهــى فيــه أمــرى
شمر الأكيــاس وأنــا	واقف قد شيب أمرى
بان ربح النــاس دونى	ولحين بــان خســرى
ليتنــى أقبــل وعظــى	ليتنــى أسمع زجــرى
كل يــومٍ أنــا رهين	بين آثامـــى ووزرى
ليت شعرى هل أرى لى	همة فى فك أسرى
أو أرى فى ثوب صدقٍ	قبــل أن أنــزل قبرى
ويح قلبى من تناسيه	مقامــى يــوم حشــرى
واشتغالى عــن خطايــا	أثقــلت والله ظهــرى

وأخيراً ...

هذه موعظة بليغة ، وحكمة نبيلة ، تدعونا إلى الاجتهاد فى العبادة :

قال يزيد الرقاشى رحمه الله :

مثلت نفسى فى النار آكل من زقومها ، وأشرب من صديدها ، وأضرب بمقارعها ، فقلت لنفسى : ماذا تشتهين ؟

قالت : أعود إلى الدنيا ، فأعمل صالحاً ، فأنجو به من العذاب الأليم .

ومثلت نفسى فى الجنة أسعى فى رياضها ، وأعانق أبكارها ، وألبس من حريرها ، فقلت لنفسى ماذا تشتهين ؟

قالت : أعود إلى الدنيا ، فأعمل صالحاً فازداد به من النعيم .

فقلت لنفسي : هاأنت فى الأمنية ، فاعملى لما تريدين .

فهيا أخى المسلم تسابق فى عبادة الرحمن .

وهلما أختى المسلمة تسابقى فى عبادة الرحمن .

وهيا بنا جميعا نتسابق فى عبادة الرحمن .

* * *

من أنواع التسابق فى الخيرات
التحاب فى الله

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

الإيمان فى الإسلام قائم على محبة الله ، ورسوله ﷺ ، ودخول الجنة متوقف على الإيمان ، والإيمان متوقف على المحبة .

فمن أحب لله ، وأبغض لله ، فقد استكمل الإيمان ، لأن أوثق عرى الإيمان الموالاة فى الله ، والحب فى الله .

ومن الأمور التى ينبغى ألا نغفل عنها أن المحبة فى الله ليست مما يشترى بمالٍ ، أو يورث عن آباءٍ ، وأجداد .

إنما المحبة فى الله أمر يقع فى قلب المؤمن ، يلقيه الله فى قلب من شاء من عباده ، ولذلك قال الله تعالى :

﴿ لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بينهم ولكن الله ألف بينهم ﴾[٣٣].

ولذلك أقر بأن كل محبة لا تكون لله فهى باطلة ، وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل ،فالدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها ، وكل عمل أريد به غير الله ، لم يكن لله ، وكل عمل لا يوافق شرع الله ، لم يكن لله .

ومن هذا المنطلق ينبغى لكل من آمن بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً ، أن يتنافس ، ويتسابق إلى الوصول إلى محبة الله تبارك وتعالى .

فمحبة الله هى المنزلة العليا ، التى من أجلها سار السائرون ، وعبد العابدون ، فهى النور لمن كان فى الظلمات ، والحياة لمن كان من الأموات .

---

(٣٣) سورة الأنفال : ٦٣ .

أخى المسلم ...

لا قيمة للعبد منا ، إلا بالعمل على أن يصل إلى التسابق فى تلك الصفة الطيبة ، وهناك من الأسباب ما يعين العبد على الوصول إلى تلك الصفة العظيمة .

ذكر الإمام ابن القيم – رحمه الله – الأسباب الموصلة إلى محبة الله ، وهى عشرة :

أحدها : قراءة القرآن بالتدبر ، والتفهم لمعانيه ، وما أريد به ، كتدبر الكتاب الذى يحفظه العبد ، ويشرحه ، ليتفهم مراد صاحبه منه .

الثانى : التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة .

الثالث : دوام ذكره على كل حالٍ : باللسان والقلب ، والعمل والحال ، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر .

الرابع : إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى .

الخامس : مطالعة القلب إلى أسمائه وصفاته ، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته ، وأفعاله ، أحبه لا محالة .

السادس : مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ، ونعمه الباطنة والظاهرة ، فإنها داعيةٌ إلى محبته .

السابع : إنكسار القلب بكليته بين يدى الله تعالى .

الثامن : الخلوة به ومناجاته .

التاسع : مجالسة المحبين الصادقين ، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم ، كما ينتقى أطايب الثمر .

العاشر : مباعدة كل سببٍ يحول بين القلب ، وبين الله عز وجل .

أخى المسلم ...

فكيف يتحاب فى الله من لم يصل إلى محبة الله ؟

وكيف يتسابق إلى التحاب فى الله من لم يعرف محبة الله ؟

فما هى علامات المتحابين الصادقين فى المحبة ؟

يقول النبى ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يقذف الرجل فى النار ، أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر ، بعد إذ أنقذه الله منه ، وأن يحب العبد لا يحبه إلا لله »[٣٤].

هذا الحديث يعلمنا أموراً عظيمة فى باب التسابق إلى محبة الله .

يعلمنا أولاً : أن حلاوة إيمان العبد منا إنما تكون بالاستلذاذ للطاعة ، والمشقة فى سبيل الوصول إلى رضى الله عز وجل .

ويعلمنا ثانياً : حب الله ورسوله ﷺ يعنى أن نؤثر – من الإيثار – ما فيه رضا الله ورسوله ﷺ على هوى النفس .

ويعلمنا ثالثاً : كراهية الكفر ومباشرة أسبابه .

(٣٤) البخارى (١/١٠ ، ١٢) ، ومسلم (٢/١٣) ، وأحمد (٣/١٠٤ ، ١٧٣ ، ٢٣٠ ، ٢٤٨) ، والنسائى (٨/٩٤) ، وابن ماجه (٤٠٣٣) ، وابن حبان (١/٢٢٩ – ٢٣٠) ، والطيالسى (١٩٥٩) ، وأبو نعيم (١/٢٧) فى الحلية ، والبغوى (٤١) فى شرح السنة ، وابن قدامة (١) ، (٢) فى المتحابين فى الله .

من أنواع التسابق إلى الخيرات : ـــ
تقديم أعمال الآخرة على أعمال الدنيا

أخى المسلم ... أختى المسلمة

نحن فى حاجةٍ إلى التسابق مع أنفسنا من أجل الوصول إلى مرحلة تقديم عمل الآخرة على الدنيا .

فتقدم الصلاة على وقتها على شهوة النفس بقضاء بعض الأعمال الدنيوية .

وتقديم الصدقة على الترف والبذخ .

وتقديم الشكر والحمد على الجحود والنكران ، والبخل .

وتقديم رضا الله على رضا الناس .

وتقديم الباقيات الصالحات على الشهوات الفانيات .

ولكن لازلنا نؤثر الحياة الدنيا ، الفانية ، وندع الآخرة الباقية فهل جددنا النية ، وأخلصنا العمل فى تقديم عمل الآخرة على عمل الدنيا .

إنه نوعٌ من التسابق ولكن مع النفس ، ومع الهوى .

فهيا بنا نتسابق فى هذا عسانا أن ننتصر على أنفسنا .

* * *

من أنواع التسابق فى الخيرات
الزهد فى الدنيا

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

فى هذا العصر الذى تلهف الناس على الشهوات ، ونسوا لقاء الله ، ولم يعملوا على الاستعداد ليوم الميعاد يتساءل المرء :

لِمَ ترك الناس الباقيات الصالحات ، ورغبوا فى الفانيات ؟

حقاً لقد وصل الإنسان إلى عالم أفضل فى التنعم والترف ، والاختراع ، ولكن هل ذلك يغنى شيئا عن العمل ليوم الرحيل ؟!!

لقد انتصر أصحاب الرسول ﷺ على الفرس والروم ، وصاروا سادة الدنيا ، ومع ذلك كانت الدنيا أحقر إلى أحدهم من أن يبيع دينه بها ، كانوا ينظرون إلى الدنيا على أنها قنطرة توصلهم إلى جنة ربهم ، ففازوا فوزاً عظيماً .

أما اليوم فلقد انتصرت الدنيا على العباد ، واستولت على قلوبهم ، وشغلتهم عن معبودهم ، حتى صار الواحد لا يعرف شيئاً سوى مطعمه وملبسه .

إن إجابة على سؤالنا المتقدم هو أن الناس لم يتسابقوا إلى الزهد .

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

إن الزهد فى الدنيا ليس معناه ألا تملك شيئاً من الدنيا ، إنما الزهد فى الدنيا يعنى ألا يملك أى شىء منها ، ولا يسيطر عليك ، ولا يحركك فى هذه الدنيا إلا منهج الله تبارك وتعالى .

والتسابق فى الزهد فى الدنيا يعنى ترك كل شىء لا ينفعنا فى الآخرة ، والتسابق على ما ينفعنا .

ومن هنا نعرف أنه ليس من الضرورى أن يكون الزاهد فقيراً ، أو مسكيناً ، بل قد يكون غنياً ، وصاحب جاه ، ومع ذلك هو عند الله من الزاهدين .

وما أروع خطاب المولى تبارك وتعالى – لعباده المؤمنين :

﴿ وابتغ ِ فِيمَا أَتَاكَ الله الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ من الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ الله إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغ ِ الْفَسَادَ فى الأرض ِ ﴾[٣٥].

وعندما نبحث فى سيرة أصحاب نبينا ﷺ نجد أنهم كانوا – وذلك لدى البعض منهم – على قدر كبير من الثراء ، ولكن أموالهم كانت كلها قُربى إلى الله تبارك وتعالى .

فالتسابق فى الزهد يعنى قصر الأمل فى هذه الحياة الدنيا .

والتسابق فى الزهد يعنى الزهد فى الجاه والمنصب ، وبغض المحمدة ، وحب الثناء .

والتسابق فى الزهد يعنى أن لا يغلب الحرام صبر العبد ، ولا الحلال شكره .

استمع أخى المسلم وأنت أختى المسلمة إلى هذا الشعر الطيب :

هب الدنيا تساق إليك عفواً   أليس مصير ذلك إلى زوال
وما دنياك إلا مثل ظل   ثم أذن بـــــــارتحال

وقال آخر :

طالب الدنيا بحرص ٍ وعجل   إنما الدنيا كظل ٍ منتقـل
نحن فيها مثل ركب نازل   فقيل كلما أحل، ارتحل

---

(٣٥) سورة القصص : ٧٧ .

أخى المسلم ...

أما آن أن تفيق للرحيل ، قبل أن ينادى المناد من مكانٍ قريبٍ هلم إلى الموت والقبر ، والبعث والحشر ، والجنة أو النار .

أختى المسلمة ...

انتبهى لحالك ، وتذكرى مالك من زادٍ غير التقوى ، والزهد ، والورع فهلمى تسابقى إلى الزهد .

من أنواع المسابقة إلى الخيرات
التنافس فى الإيثار والمواساة

أخى المسلم ... أختى المسلمة

لقد حثنا الله تبارك وتعالى على التحلى بهذه الصفة النبيلة عندما مدح لنا الأنصار ، فقال عز وجل :

﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾

التنافس فى الإيثار يعنى أن تقدم حاجة الغير على حاجتك .

التسَابق فى الإيثار يعنى البدء بحاجة الغير قبلك .

فهاهم الأنصار – رضى الله عنهم – يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ، ويبدءون بالناس قبلهم فى حال احتياجهم إلى ذلك .

هل سألت نفسك أخى المسلم يوماً من الأيام لماذا لم تؤثر غيرك من المسلمين ببعض المال الذى لديك ؟

هل راجعت نفسك أختى المسلمة يوماً من الأيام لم تركت غيرك من المسلمات ، وأنت تعلمين مدى حاجتها إلى عطائك ؟

لقد ضرب لنا سلفنا الصالح فى الإيثار أروع الأمثلة ، وهذا بعضها :

● ● عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال :

أُهدى إلى رجلٍ من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة ، فقال فلانٌ أحوج إليها منى ، فبعث بها إليه ، فبعث هو أيضاً إلى آخر يراه أحوج منه ، فلم يزل يبعث به واحدٌ إلى واحدٍ حتى رجع إلى الأول بعد تداوله سبعةٌ .

● ● وبعث معاوية بن أبى سفيان – رضى الله عنه – بثمانين ألف درهمٍ إلى عائشة – رضى الله عنها – وكانت صائمة ، وعليها ثوب خَلِقٌ ، فوزعت هذا المال من ساعتها على الفقراء والمساكين ، ولم تُبق منه شيئاً ، فقال لها خادمتها : يا أم المؤمنين ما استطعت أن تبقى لنا درهماً نشترى به لحماً تفطرين عليه ، فقالت عائشة – رضى الله عنها – : يا بنية ، لو ذكرتينى لفعلت .

فتأملى أختى المسلمة كيف أنها قد نسيت نفسها وهى صائمة ، فى درهمٍ واحدٍ ، وماذاك إلا لأجل تذكرها للفقراء والمساكين ، ومعرفتها بمعنى التسابق فى الإيثار .

فرحم الله امرأة سارت فى طريق الإيثار .

ورحم الله امرأة أكثرت من الإيثار .

ورحم الله امرأة عاشت للإيثار .

● ● ومن عجائب الإيثار ما ذكره العدوى – كما روى القرطبى – حين قال :

انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ، ومعى شىء من الماء ، وأنا أقول إن كان به رمقٌ سقيته ، فإذا أنابه ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فإذا برجلٍ يقول : آه آه ، فأشار إلىَّ ابن عمى برأسه أن اذهب إليه ، فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار أن نعم ، فسمع آخر يقول : آه آه ، فأشار هشامٌ أن انطلق إليه ، فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشامٍ فإذا

هو قد مات ، فرجعت إلى إبن عمى ، فإذا هو قد مات ، ولم يشرب أحدٌ الماء لإيثار كُل واحدٍ منهم صاحبه .

● ● وأخذ عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أربعمائة دينار ، فجعلها فى صرة ، ثم قال لغلامه : اذهب بها إلى أبى عبيدة بن الجراح ، ثم تشاغل فى البيت حتى تنظر ما يصنع ؟ فذهب بها الغلام إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذا فى حاجتك ، فقال أبو عبيدة : وصل الله عمر ورحمه ، ثم قال أبو عبيدة تعالى يا جارية ، اذهبى بهذه السبعة إلى فلانٍ ، وبهذه الخمسة إلى فلانٍ ، وبهذه الخمسة إلى فلانٍ حتى أنفدها ، ورجع الغلامُ إلى عمر فأخبره ، فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل ، فذهب بها إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذا فى بعض حاجتك ، فقال : رحم الله عمر ووصله ، تعالى يا جارية ، اذهبى إلى بيت فلانٍ بكذا ، وإلى بيت فلانٍ بكذا ، فاطلعت امرأة معاذٍ على ما فعله معاذٌ ، فقالت : نحن والله مساكين ، فأعطها ما بقى فى الخرقة ، ولم يبق فى الخرقة إلا دينارين فرمى بهما إليها .

فرجع الغلام إلى عمر ، فأخبره بما رأى فسُرَّ بذلك ، وقال :

إنهم أخوة بعضهم من بعض .

أخى المسلم إن التسابق فى الإيثار من أسمى مراتب البذل والعطاء .

وأعلى مواضع الإيثار أن تؤثر رضى ربك على رضى من سواه ، فتفعل ما فيه مرضاة خالقك ، حتى ولو غضب المخلوق .

وهذه الدرجة هى درجة الأنبياء والمرسلين ، يقول الإمام ابن القيم :

« إيثار رضا الله عز وجل على غيره ، هو أن يريده ويفعل ما فيه مرضاته ، ولو أغضب الخلق وهى درجة الأنبياء ، وأعلاها للرسل عليهم صلوات الله وسلامه ، وأعلاها لأولى العزم منهم ، وأعلاها لنبينا ﷺ ، فإنه قاوم العالم كله ،

وتجرد للدعوة إلى الله ، واحتمل عداوة البعيد والقريب فى الله تعالى ، وآثر رضا الله على رضا الخلق من كل وجه .

ولم يأخذه فى إيثار رضاه ملومة لائم ، بل كان همُّه ، وعزمه ، وسعيه كله مقصوراً على إيثار مرضاة الله ، وتبليغ رسالاته ، وإعلاء كلماته ، وجهاد أعدائه ، حتى ظهر دين الله على كل دين ، وقامت حجته على العالمين فلم ينل أحدٌ من درجة هذا الإيثار ما نال صلوات الله وسلامه عليه .

فهيا أخى المسلم نتسابق فى الإيثار .

وهيا أختى المسلمة تنافسى فى الإيثار .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الإيثار .

* * *

الباب الثالث ويشمل على :

١ – بذل النصيحة .
٢ – الرحمة والرأفة على الخلق .
٣ – صلة الأرحام .
٤ – إكرام الجار .
٥ – البعد عن مساوىء الأخلاق .
٦ – تقديم الصدقات .

من أنواع المسابقة إلى الخيرات
بذل النصيحة

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

من الواجب على المرء منا فى تلك الحياة الدنيا إرشاد العباد إلى مصالحهم ، والأخذ بأيديهم لمعرفة أمور دينهم ودنياهم .

النصح للمسلم قد يكون فى أمر زواجٍ ، أو سفرٍ ، أو تجارة ، أو فى معرفة أحكام الدين ، وما يجلب رضا رب العالمين .

والنصح للمسلمة يكون فى حالها مع زوجها وأولادها ، وبيتها وشارعها فهى أينما ذهبت تنصح فى الله أخواتها المسلمات بالسير فيما فيه السعادة فى الدنيا والآخرة .

قال تميم الدارى – رضى الله عنه – قال رسول الله ﷺ :

« الدين النصيحة » قلنا : لِمَنْ يا رسول الله ؟ قال : « لله ، ولرسوله ، ولكتابه ، ولأئمة المسلمين وعامتهم »[٣٦].

ومن الواجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يتسابق فى الوصول إلى هذا الأمر الطيب ، كما تسابق سلفنا الصالح .

فهيا أخى المسلم تسابق فى بذل النصيحة إلى إخوانك ، وهبى أختى المسلمة وقدمى النصيحة إلى أخواتك المسلمات .

وليكن النصح سراً ، فإنه خير وبركة ، ولنحذرأن يكون على ملأٍ ، وعلى رؤوس الأشهاد .

---

(٣٦) البخارى (٢٢/١) فى الإيمان ، ومسلم (٣٩/٢ نووى) ، وأحمد (١٠٤/٤) .

قال أحد السلف الصالح :

من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهى نصيحة ، ومن وعظه على رؤوس الأشهاد ، فإنما وبخه .

يقول الإمام الشافعى رحمه الله :

أحبُّ من الإخوان كُلَّ مُوَاتى   وكُلَّ غضيضِ الطَّرْفِ عن عثراتى

يوافقنى فى كل أمر أريده   ويحفظنى حيّاً وبعد مماتى

فمن لى بهذا ؟ ليت أنى أصبته   لقاسمته مالى من الحسنات

وأخيراً

هيا بنا مع بابٍ آخر من أبواب الخير لكى نتسابق فى الوصول إليه .

* * *

من أبواب المسابقة إلى الخيرات
الرحمة والرأفة على الخلق

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

من الأمور التى تغافل الناس عنها ، وصارت نسياً منسياً وراء ظهورهم الرحمة على الأطفال ، والشيوخ ، والأرامل ، والمساكين .

إنه بابٌ من أبواب الخير لا نجد من يتسابق فيه إلا من رحم الله .

ولقد علمنا رسولنا ﷺ أنه من نزعت الرحمة من قلبه للبشر ، وقسا قلبه ، فقد خرج من تحت رحمة الله التى وسعت كل شىء ، وحق عليه الخسران والبوار ، وصار من وقود النيران .

قال ﷺ « خاب عبد وخسر ، لم يجعل الله تعالى فى قلبه رحمة للبشر »[٣٧].

وقال عليه الصلاة والسلام : « إنما يرحم الله من عباده الرحماء »[٣٨].

وقال عليه الصلاة والسلام : « من لا يرحم لا يرحم »[٣٩].

وقال ﷺ : « لا تنزع الرحمة إلا من شقى »[٤٠].

---

(٣٧) حسن . أخرجه الدولابى (١٧٣/١) فى الكنى ، وابن عساكر (٢/١١٣/٧) فى تاريخه ، وانظر : السلسلة الصحيحة (٤٥٧) .

(٣٨) البخارى (١٠٠/٢) ، (١٦٦/٨) ، ومسلم (٢٢٥/٦ نووى) ، وأحمد (٢٠٤/٥) ، وأبو داود (٣١٢٥) ، والنسائى (٢٢/٤) ، وابن ماجه (١٥٨٨) ، والطبرانى (٣٦٨/٢) فى الكبير ، والبيهقى (٦٥/٤ ، ٦٩) فى سننه .

(٣٩) البخارى (٩/٨) ، (١٢/٨) ، ومسلم (٧٧/١٥ نووى) ، وأبو داود (٥٢/٨) ، والترمذى (١٩٧٦) ، وأحمد (٢٥٧/١) ، (١٨٥/٢) ، (٣٢٨/٥) .

(٤٠) صحيح . أخرجه أحمد (٣٠١/٢) ، وأبو داود (٤٩٤٢) ، والترمذى (١٩٨٨) ، وابن حبان (٣٤٤/١) ، والحاكم (٣٤٩/٤) وصححه وأقره الذهبى .

يا له من أجرٍ عظيم يحصل عليه المرء عندما يرحم الصغير ، ويجل الكبير ، ويساعد المسكين .

بابٌ من أبواب الخير مرت علينا ليالى كثيرة لم نطرقه ، ولم نفكر فى الولوج إليه ، وماذاك إلا لعدم شعورنا بأننا فى حاجة إلى التسابق فى الخيرات ، حتى نصل إلى رضا رب البريات .

فهيا أخى المسلم ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء .

وهيا أختى المسلمة ساعدى من فى الأرض يساعدك من فى السماء .

اللهم اجعلنا من أهل الرحمة ، وأصحاب الشفقة .

من أنواع التسابق فى الخيرات
صلة الأرحام

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

يستطيع المرء منا أن يفوز برضا الله ، ويشعر ببركة عمره ، ونماء رزقه عندما يقوم بصلة رحمه .

فالنبى ﷺ قال : « صِلةُ الرَّحمِ ، وَحُسْنُ الخُلقِ ، وَحُسْنُ الجوارِ ، يَعْمُرنَ الدِّيارِ ، وَيَزدنَ فى الأعمارِ »[41].

وصلة الرحم : أى الإحسان إلى الأقارب بالمال ، وبالخدمة ، وبالزيارة ، وبالنصيحة ، وغير ذلك من طرق ايصال الخير إلى الغير .

فكم من ليلة قد بت أخى المسلم ، وأنت فى خصامٍ مع أقاربك ؟!

---

(٤١) صحيح . أخرجه أحمد (١٥٩/٦) ، والبيهقى فى شعب الإيمان ، وانظر الكلام على رجاله وطرقه فى السلسلة الصحيحة برقم (٥١٨) .

وكم من شهرٍ ، وسنةٍ أختى المسلمة لم تذهبى إلى زيارة أقاربك ؟

وكم من قريبٍ لنا كان أحوج ما يكون إلى الوقوف بجانبه ، والأخذ بيده ، ورفع المصائب والشدائد عنه ؟

لقد قال النبى ﷺ « أحب الأعمال إلى الله تعالى : الإيمان بالله ، ثم صلة الأرحام ، ثم الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وأبغض الأعمال إلى الله تعالى : الإشراك بالله ، ثم قطيعة الرحم »(٤٢).

ألا يدعونا هذا الحديث الجميل ، العظيم الثواب إلى صلة أرحامنا ؟!

ألا يدعونا هذا الكلام النبوى البليغ إلى الوقوف مع أنفسنا وقفة صريحة ، أين نحن من صلة الأرحام ؟!

وأخيراً

أليس فى هذا الكلم النبوى الطيب ما يدعو إلى التسابق فى هذا الباب من أبواب الخير ؟!

فيا من تبحث عن الطريق إلى السعادة فى الآخرة بالفوز بالجنة .

ويا من تسأل عن طريق البركة فى الأجل والرزق فى الدنيا .

هذا النبى ﷺ يقول :

« من سره أن يعظم الله رزقه ، وأن يمد فى أجله ، فليصل رحمه »(٤٣).

ويقول عليه الصلاة والسلام :

---

(٤٢) حسن . رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح ، قاله الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٥١/٨) ، وحكم عليه بحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع برقم (١٦٤) .

(٤٣) البخارى (٦/٨) بنحوه ، ومسلم (١١٢/١٦ نووى) ، وأحمد (٥٥/٥ ، ٣٧٩) وأبو داود (١٦٩٣) .

« صلة الرحم مثراة فى المال ، محبة فى الأهل ، منسأة – أى تأخير – فى الأجل »[44].

واعلم أخى المسلم ...

أنك إذا لم تتسابق فى صلة الأرحام ، فسوف تقع فى القطيعة والحرمان ، وتصل إلى الندامة والخسران .

ففى الدنيا إن لم تتسابق فى صلة الأرحام سوف يقطعك الله عن أحبابك ، وأرحامك ، لقوله ﷺ :

« إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قامت الرحم ، فقال : من ؟ قالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يا رب ، قال : فذلك لك »[45].

وفى الآخرة إن لم تتسابق فى صلة الأرحام تُحرم من دخول الجنة ، لقوله ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع »[46].

وهكذا يخسر العبد الدنيا والآخرة ، ويُحرم من رحمة الله التى وسعت كل شىء ، وذلك لإهماله التسابق فى صلة الأرحام .

فهيا بنا نجدد العزم ، ونصدق الفعل والقول بصلة أرحامنا .

---

(٤٤) صحيح . أخرجه الترمذى (٢٠٤٥) بمعناه ، وأحمد (٣٧٤/٢) ، والحاكم (١٦١/٤) ، وانظر الكلام على طرقه ورجاله فى السلسلة الصحيحة برقم (٢٧٦) .

(٤٥) البخارى (٦/٨) ، ومسلم (١١٢/١٦ نووى) .

(٤٦) البخارى (٦/٨) ، ومسلم (١١٣/١٦) ، وأبو داود (١٦٩٦) ، والترمذى (١٩٧٤) ، وأحمد (٨٠/٤ ، ٨٣ ، ٨٤) .

من أنواع التسابق فى الخيرات
إكرام الجار

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

أقرب الناس إلى المرء بعد أقاربه من آباء وأمهات ، وأبناء وزوجات ، هو الجار .

وقديماً كان العربى يقول : خذ الجار قبل الدار .

وفى زمننا هذا نسى الناس الجار وحقوقه ، ولم يعرفوا سوى جلب السخط والأذى له .

ومن أراد أن يكون من عباد الرحمن فعليه بوصل الجيران ، وتقديم العون لهم .

فتزوره فى بيته ، وتعوده إذا مرض ، وتعينه إذا أصيب واحتاج ، وتمشى فى جنازته إذا مات .

نعم إنها علاقةٌ حتى الممات ، فيها الأمان والمحبة فى الحياة ، وفيها العهد والوفاء بعد الممات .

لقد علمنا رسولنا ﷺ فضل حسن الجوار ، وحق الجار خير تعليم فقال ﷺ : « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »[٤٧].

وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره »[٤٨].

وقال : « لأن يزنى الرجل بعشرة نسوة خير له من أن يزنى بامرأة جاره ، ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر له من أن يسرق من بيت جاره »[٤٩].

---

(٤٧) البخارى (١٢/٨) ، ومسلم (١٧٦/١٦ نووى) .

(٤٨) البخارى (١٣/٨) .

(٤٩) صحيح . أخرجه أحمد (٨/٦) ، والبخارى (١٠٣) فى الأدب المفرد ، والطبرانى فى الكبير والأوسط ، كما فى مجمع الزوائد (١٦٨/٨) .

والجيران ثلاثة :

فالمشرك : له حق الجوار .

والمسلم : حق الإسلام والجوار .

والمسلم ذو الرحم : له حق الإسلام ، وحق الجوار ، وحق الرحم .

فأين نحن من تلك الحقوق ؟

هل قمنا بتأديتها كما ينبغى أن تكون ؟!

هل تسابقنا فى راحة جيراننا ، والعمل على إسعادهم ؟!

هل قمنا فى منتصف الليل لعلمنا بمرض جارنا أو جارتنا وشعوره بالألم ؟

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

حقوق الجار التى سوف نتسابق فيها أكثر من أن تُحصى ، ولكن لعل من أهم تلك الحقوق ، وأظهرها لنا ما يلى :

١ - إن مرض عدته .
٢ - وإن مات شيعته .
٣ - وإن استقرض أقرضته .
٤ - وإن احتاج وأفتقر سترته .
٥ - وإن أصابه خيرٌ هنأته .
٦ - وإن أصابته مصيبة عزيته .
٧ - وأن لا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح .
٨ - وأن لا تتركه فى حالة من الجوعِ ، وأنت شبعان .

وعندما ينظر المرء المسلم إلى تلك الحقوق ، وينظر إلى أحوال السلف الصالح معها يجد أنهم قد تسابقوا فى أداء تلك الحقوق ، وتنافسوا فى الوصول إليها كلها .

اسمع أخى المسلم ... وأنت أختى المسلمة ..

قال الإمام الغزالى رحمه الله :

كان فى السلف من يتفقدُ عيالَ أخيه بعد موته أربعين سنة ، يقوم بحاجتهم ، ويتردد كل يوم إليهم ، ويُمَوِّنُهم من ماله ، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه ، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم فى حياته .

وكان الواحد منهم يتردد إلى دار أخيه ، ويسأل ويقول :

هل لكم زيتٌ ، هل لكم ملحٌ ، هل لكم حاجة ؟

فهلم أخى المسلم ... وأختى المسلمة لكى نتسابق فى إكرام جيراننا ، ومعرفة حقوقهم ، عسانا أن نصل إلى إرضاء ربنا ، والفوز بمغفرته ، والنجاة من النيران ، ودخول الجنان .

* * *

المسابقة إلى الخيرات
بالبُعد عن مساوىء الأخلاق

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

لكى يصل المرء منا إلى أمله ورغبته ، فعليه أن يترك الذنوب الصغار ، والكبار حتى يكون من الأبرار .

إن ديننا الحنيف كما حدثنا عن الأخلاق الفاضلة ، والشيم المرضية ، حذرنا من الأخلاق المذمومة ، فإنها تجعل العبد ذليلاً ، حقيراً ، مذموماً عند أهل الأرض ، ومغضوباً عليه من رب السماء .

إننا فى حاجة إلى التسابق فى ترك الحسد ، والرياء ، والغش ، والمكر ، والخداع ، والكذب ، والبخل ، والغيبة ، والنميمة .

إننا فى حاجة إلى التباعد عن : الشرك بالله ، وسوء الظن بالآخرين ، والنفاق ، والتلاعن ، والطيرة ، وسب الأموات .

إننا محتاجون لترك التنابز بالألقاب ، وصحبة الأشرار ، وإعانة الظالم ، والعجب بالنفس ، ونقض العهد ، واللجوء إلى الغدر .

إننا فى أمس الحاجة إلى ترك قطيعة الأرحام ، وعقوق الوالدين .

حقاً إنها سلسلةٌ طويلة من الآثام والخطايا ، ولكن أليس الصواب قبل البدء فى المسابقة إلى الخيرات ، أن نبتعد عن السيئات ؟!

وقديماً قال الصحابى الجليل حذيفة رحمه الله : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى .

فكيف بنا ، وقد وقعنا فى الشر ، وعشنا فيه ، وتعاملنا به اللهم لا مانع لما

أعطيت ، ولا معطى لما منعت .

فأعطنا القلوب التى تصد الشهوات ، والنفوس التى تنفر من الشبهات ، والأبدان التى تجاهد الدنيا والشيطان ، والهوى .

وامنعنا عن الوقوع فى مساوىء الأخلاق ، والخروج عن دائرة الإيمان إنك على كل شىء قدير .

ومن أنواع التسابق فى الخيرات
تقديم الصدقات

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

قديماً كانوا يقولون : ما استحق أن يولد من عاش لنفسه .

فالمرء لا يحيا إلا مع أقارب وأصدقاء ، وجيران .

وحتماً هناك الغنى والفقير ، القوى والضعيف ، المستغنى والمحتاج .

والمسلم يتسابق دائما إلى الخيرات **بتقديم الصدقات** ، وبذلها إلى كل محتاجٍ قريباً كان أو بعيداً ، معروفاً أو غريباً .

والصدقة لا حد لقدرها ، صغيرة ، أو كبيرة ، فإن المراد منها هو الإعانة للمحتاجين ، والخروج من آفة الشح .

فهذا رسول الله ﷺ يقول :

« إنَّ امْرأةً بَغِياً[٥٠] رَأَتْ كَلْباً فى يَوْمٍ حَارٍ يُطيفُ ببئرٍ ،[٥١] قد أدلعَ

---

(٥٠) البغى : هى الزانية ، والبغاء هو الزنا .

(٥١) يطيف ببئر : أى يدور حوله ، ويقال : طاف به ، وأطاف إذا دار حوله .

لسانهُ[٥٢] من العطشِ ، فنزعتْ له بمُوقها[٥٣] ، فغُفِرَ لها »[٥٤].

فلنتأمل كيف أن صدقة قليلة ، جعلت رحمة الله ومغفرته ، تكون نصيب تلك المرأة .

بل إن الرسول ﷺ يبسط لنا الأمر ، فيقول :

« ليق أحدكم وجهه من النار ، ولو بشق تمرة »[٥٥].

أى بنصف تمرة .

بل إن الكلمة الطيبة التى تخرج من فم الإنسان تكتب له عند الله فى عداد الصدقات التى تصدق بها .

قال ﷺ : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجد فبكلمة طيبة »[٥٦] ولقد تسابق سلفنا الصالح فى تقديم الصدقات ، وبذل العون للمحتاجين ، والإعطاء للمساكين .

لقد جلس النبى ﷺ يوماً فى أصحابه ، وقال :

« من أصبح منكم اليوم صائما ؟ »

قال أبو بكر رضى الله عنه : أنا .

قال : « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ »

---

(٥٢) أدلع لسانه : أخرجها لشدة العطش .

(٥٣) الموق : هو الخف ، والمعنى أنها نزعت حذاءها لتسقى فيه الكلب .

(٥٤) مسلم (٢٤٢/١٤ نووى) .

(٥٥) صحيح . أخرجه أحمد (٣٨٨/١ ، ٤٤٦) ، وأبو نعيم (٢١٤/٨) فى الحلية .

(٥٦) البخارى (٦٠٢٣ فتح) ، ومسلم (١٠١/٧ نووى) ، وأحمد (٢٥٦/٤) ، والنسائى (٧٥/٥) ، والدرامى (٣٩٠/١) ، والبغوى (١٤٠/٦) فى شرح السنة ، والبيهقى (٣٩٠/١) فى سننه .

قال أبو بكر رضى الله عنه : أنا .

قال : « فمن أطعم منكم اليوم مسكينا ؟ »

قال أبو بكر – رضى الله عنه : أنا .

قال : « فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟ »

قال أبو بكر رضى الله عنه : أنا .

قال رسول الله ﷺ : « ما اجتمعن فى إمرىءٍ إلا دخل الجنة »(٥٧).

هكذا كان من ضمن الأسباب التى يتسابق بها العباد إلى دخول جنة النعيم : التصدق على المساكين ، وإطعامهم .

ومن أروع الأمثلة التى ضربها لنا السلف الصالح فى التسابق إلى الخيرات بتقديم الصدقات : موقف أبى طلحة الأنصارى .

كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ، ويشرب من ماءٍ فيها طيب .

فلما نزلت هذه الآية : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾(٥٨) قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال : إن الله يقول فى كتابه ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ وإن أحب أموالى إلىَّ بير حاء ، وإنها صدقة لله أرجو برها ، وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث شئت .

قال رسول الله ﷺ : « بخ ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح قد سمعت ما قلت فيها ، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين »(٥٩) . فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه .

---

(٥٧) مسلم (١٥٦/١٥ نووى) .

(٥٨) سورة آل عمران : ٩٢ .

(٥٩) البخارى (١٣٩/٢ الشعب) ، ومسلم (١١١/٧ نووى) .

الباب الرابع : ويشتمل على

١ – بر الوالدين .
٢ – المسارعة فى قضاء حوائج المسلمين .
٣ – كثرة السماع لوصايا الصالحين .
٤ – الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
٥ – كثرة التوبة والاستغفار .

من أنواع التسابق فى الخيرات
بر الوالدين

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

لقد أمرنا ربنا – تبارك وتعالى – بحسن رعاية الوالدين ، وبرهما .

فقال عز وجل :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ ألا تَعْبُدُوا إلا إيَّاهُ وبالوالِدَيْنِ إِحْسَاناً * إمَّا يبلُغنَّ عندكَ الكِبَرَ أحدُهُمَا أو كلاهُمَا فَلاَ تَقُل لهُمَا أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُمَا وقُل لهما قولاً كريماً * واخفضْ لهُمَا جَنَاحَ الذُّلِ من الرحْمَةِ وَقُل رَبِّ ارْحَمْهُمَا كما رَبَّيَانِى صَغِيراً ﴾[٦٠]

أياتٌ مباركاتٌ لا يستطيع المرء أمامها إلا أن يتنافس فى إسعاد والديه ، ويتسابق فى إرضائهما ، ويتفانى فى مودتهما .

لقد علمنا سلفنا الصالح معنى التسابق فى إرضاء الوالدين ، ولذا فقد تركوا لنا كلمات مضيئة توضح بجلاءٍ لا شائبة فيه فضل الوالدين وبرهما .

● ● فيقول التابعى الجليل مكحول رحمه الله : بر الوالدين [illegible] الكبائر ، ولا يزال الرجل قادراً على البر مادام فى فصيلته من هو أكبر منه .

ويقول كعب الأحبار رحمه الله :

« إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقاً لوالديه ، ليعجل له العذاب ، وإن الله ليزيد فى عمر الرجل إذا كان باراًّ بوالديه ليزيده براًّ ، وخيراً ، ومن برهما أن ينفق عليهما إذا احتاجا .

---

(٦٠) سورة الإسراء : ٢٣ .

أخي المسلم ...

كم قد دأب والدك على التعب فى سبيلك

وكم قد تحمل الأمر الثقيل لتكون من السعداء

وكم قد تحمل الصعاب من أجل أن يوفر لك العيشة الهنيئة

ألا يدعوناذلك أن تتسابق فى مرضاته ، وتعمل على راحة باله فى تلك السنوات التى يحياها فى أواخر عمره ؟!!

أختى المسلمة ...

أمك ، وما أدراك ما أمك ؟

لقد كان نصيبها فى تربيتك أوفى قسطاً ، ودون أن تنتظر من وراء ذلك جزاءً أو شكوراً ، عاشت طوال عمرها خادمة لكِ ، ممرضة لكِ .

هل نسيتِ كل ذلك ؟

ألا يستحق تنظيفها لك من قذرٍ كان بك فى صغرك أن تعمل على سعادتها ؟!

ألا يستحق سهرها عليك أن تتسابق فى إرضائها ؟

قال بشر رحمه الله :

ما من رجلٍ يقرب من أمه حيث يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذى يضرب بسيفه فى سبيل الله ، والنظر إليها أفضل من كل شىء .

وقال الشاعر :

لأمك حق لو علمت كثير كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكى لها من جواها[٦١] أنة وزفير

---

(٦١) الجوى : الحرقة من شدة الحب .

وفى الوضع لو تدرى عليها مشقة ... فمن غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها ... وما حجرها إلا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها ... ومن ثديها شرب لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها ... حناناً وإشفاقاً وأنت صغير
فآهاً لذى عقلٍ ويتبع الهوى ... وآهاً لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب فى عميم دعائها ... فأنت لما تدعو إليه فقير

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

مهما فعل المرء لوالديه ، فلن يقوم بتأدية ما أوجبه الله عليه من حقهما .

لقد رأى ابن عمر – رضى الله عنهما – رجلاً قد حمل أمه على رقبته ، وهو يطوف بها حول الكعبة ، فقال : يا ابن عمر أترانى جازيتها ؟ قال : لا ، ولا بطلقة واحدة من طلقاتها – يقصد ألم لحظة الولادة – ولكن قد أحسنت ، والله يثيبك على القليل كثيراً .

هكذا مهماتسابق المرء فى هذا الخير لا يصل أبداً إلى منتهاه ، ولكن العجب أن المرء منا يظن فى لحظةٍ من لحظات عمره أنه قام بحق والديه ، وتفضل عليهما من إحسانه ، وهو فى الحقيقة لا يستطيع أن يؤدى ما عليه من دين لهما .

وختاماً فى هذا الباب من أبواب الخير قال وهب بن منبه رحمه الله : إن الله تعالى أوحى إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه :

« يا موسى وقر والديك ، فإن من وقر والديه مددت فى عمره ، ووهبت له ولداً يوقره ، ومن عق والديه قصرت من عمره ، ووهبت له ولداً يعقه » .

* * *

من أنواع التسابق فى الخيرات
المسارعة فى قضاء حوائج المسلمين

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

قضاء الحوائج لغيرك من المسلمين والمسلمات يفتح أبواباً كثيرة مغلقة للعطاء ، ويشحذ الهمم والعزائم للتعاون ، والتكافل بين أهل الإسلام .

ومن الأمور التى ينبغى لنا اليقين بها أن لله تعالى قوماً اختصهم بالنعم لمنافع العباد ، ويقرها فيهم ما بذلوها ، فإذا منعوها نزعها منهم ، فحوَّلها إلى غيرهم .

والسعى فى قضاء الحوائج للغير من الأمور التى تسابق فيها سلفنا الصالح ، وضربوا لنا أروع الأمثلة فى هذا ، وهذه بعضها :

● ● بعث الحسن البصرى - رحمه الله - قوماً من أصحابه فى قضاء حاجةٍ لرجلٍ ، وقال : مُرُّوا بثابتٍ البنانىِّ فخذوه معكم ، فأتوا ثابتاً ، فقال : أنا معتكفٌ ، فرجعوا إلى الحسن البصرى فأخبروه فقال :

قولوا له : أما تعلم أن مشْيَك فى حاجة أخيك المسلم خيرٌ من حجةٍ بعد حجةٍ ، فرجعوا إلى ثابتٍ ، فترك اعتكافه ، وذهب معهم .

سبحان الله ، يا لها من كلمات نورانية لا تصدر إلا من قلوب صافية ، عرفت حق الأخوة ، وعلمت معنى التسابق فى الخيرات .

● ● قضى ابن شبرمة - رحمه الله - حاجة كبيرة لبعض إخوانه ، فجاءه بهديةٍ ، فقال ابن شبرمة : ما هذا ؟ قال أخوه : لما أسديته إلىَّ من المعروف .

قال ابن شبرمة رحمه الله : خُذ هديتك ، عافاك الله ، إذا سألت أخاك حاجةً

فلم يُجهد نفسه فى فضائها ، فتوضأ للصلاة ، وكبَّر عليه أربع تكبيرات ، وعدَّه فى الموتى .

نعم أخى المسلم إن من لم يسع فى قضاء الحوائج إلا بمقابل ليس من الذين عرفوا قضاء الحوائج لوجه الله ، وليس من الذين أرادوا التسابق فى الخيرات ، إنما هو من الذين يسعون وراء حطام الدنيا الزائل .

● ● وقال محمد بن إسحاق رحمه الله : —

كان أناسٌ بالمدينة يعيشون ولا يدرون من أين يعيشون ؟ ومن يعطيهم ؟ فلما مات زين العابدين بن الحسين — رحمه الله — فقدوا ذلك ، فعرفوا أنه هو الذى كان يأتيهم بالليل بما يأتيهم به ، ولما مات وجدوا — أثناء تغسيله — فى ظهره وأكتافه أثر حمل أكياس الطعام إلى بيوت الأرامل ، والمساكين .

تأمل أخى المسلم فى المثال الرائع لمعنى قضاء الحوائج .

تفكرى أختى المسلمة فى المثال العظيم لمعنى العمل على إسعاد الآخرين إنه سليل بيت النبوة يسعى فى قضاء الحوائج لمن ؟

للمساكين ، للأرامل ، للفقراء ، لليتامى .

إنه يسعى فى قضاء حوائجهم ولو كان يتعبه البدنى ، ولو شاء أراح نفسه ، وطلب من الذين سيأخذون تلك الخيرات أن يأتوا بأنفسهم لحملها ، وأخذها ، وما فى ذلك أى حرج عليه .

ولكن إنه الإخلاص لله ، والتسابق فى الوصول إلى الخيرات .

قال المرداس بن حُدير — رحمه الله — :

« يا ليت لى نفسين . نفسٌ تجاهد فى سبيل الله ، ونفسٌ تسعى للمسلمين فى حوائجهم » .

فاعلم أخى المسلم ، وأنت أختى المسلمة .

أن الله عز وجل ما وضع الواحد منكما فى منصبه ، أو عمله الذى هو فيه إلا لكى يقضى حوائج المسلمين .

فرحم الله رجلاً تسابق إلى قضاء حوائج المسلمين .

ورحم الله امرأة تسابقت إلى قضاء حوائج المسلمات .

من أنواع التسابق فى الخيرات
كثرة السماع لوصايا الصالحين

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

هذا بابٌ من الأبواب التى يجدر بنا أن نتسابق إليها ، ولكن الناس شُغلوا وانشغلوا ، ونسوا فنسيهم الله تعالى .

لقد كان سلفنا الصالح يتسابقون فى أمر التوصية بالخير ، يقولونها لغيرهم ، ويطلبونها هم من غيرهم .

● ● جاء رجلٌ إلى الحسن البصرى فقال : أوصنى رحمك الله .

قال الحسن : أعز أمر الله حيثما كنت يعزك الله حيثما كنت .

● ● وقال رجلٌ لعمر بن عبد العزيز رحمه الله : أوصنى ؟ فقال له : احذر أن تكون ممن يخالط الصالحين ، ولا ينتفع بهم ، أو يلوم المذنبين ولا يجتنب الذنوب ، أو ممن يلعن الشيطان فى العلانية ، ويطيعه فى السر .

● ● وقال عمر بن عبد العزيز لأحد الصالحين : عظنى ؟ فقال له :

إياك يا عمر أن تكون ولياً لله تعالى فى العلانية ، وعدواً له فى السر .

● ● وقال رجلٌ لعبد الله بن المبارك – رحمه الله تعالى – أوصنى ؟

قال : اترك فضول النظر توفق للخشوع ، واترك فضول الكلام توفق للحكمة ، واترك فضول الطعام توفق للعبادة ، واترك التجسس على عيوب الناس توفق للاطلاع على عيوب نفسك ، واترك الخوض فى الله توق الشك والنفاق .

● ● وقال رجلٌ لمحمد بن سيرين رحمه الله تعالى : أوصنى ؟

فقال له : لا تحسد أحداً ، فإنه إن كان من أهل النار فكيف تحسده على دنيا فانية ، سيصير بعدها إلى النار ، وإن كان من أهل الجنة فاتبعه فى أعمالها واغبطه عليها ، فإن ذلك أولى لك من حسدك له على الدنيا .

وأخيراً

سمع الحسن البصرى – رحمه الله تعالى – مرة رجلاً يقول : المرء مع من أحب .

فقال له : لا يغرنك يا أخى هذا القول ، فإنك لن تلحق الأبرار إلا إن عملت بمثل أعمالهم ، فإن اليهود والنصارى يحبون أنبيائهم ، وليسوا معهم فى الجنة ، لتخلفهم عنهم فى الأعمال ، ومخالفتهم لهم .

ثم قال : واعجباً من قومٍ أُمروا بالزاد ، ونودوا بالرحيل ، وهم جلوسٌ يضحكون ، فإن من كان الليل والنهار مطيته فهو يُسار به ، ولا يشعر .

هيا أخى المسلم تسابق فى وصية غيرك من المسلمين ، وخذ منه الوصية .

وهلمى أختى المسلمة تسابقى فى توصية غيرك من المسلمات وخذى منها الوصية .

* * *

من أنواع التسابق إلى الخيرات
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

بابٌ من أعظم أبواب الخيرات ، التى طلبها ربنا – عز وجل – من العباد .

قال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾[٦٢].

وذكر خيرية هذه الأمة فحددها فى قوله تعالى :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾[٦٣].

قال ابن كثير رحمه الله معلقاً على الآية الأولى بما نصه :

يقول تعالى ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله فى الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون .

والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجباً على كل فردٍ من الأمة بحسبه .

وبعد ألا تدعوك أخى المسلم تلك الآيات القرآنية إلى أن تكون من الداعين إلى المعروف ، والناهين عن المنكر .

ألا تطلب منكِ أختى المؤمنة تلك الآيات أن تتسابقى فى ركب المؤمنات إلى سفينة النجاة بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .

---

(٦٢) سورة آل عمران : ١٠٤ .

(٦٣) سورة آل عمران : ١١٠ .

إننا فى حاجةٍ إلى التسابق فى الأمر بالمعروف ، والنهى غن المنكر باللسان .

وفى حاجةٍ إلى التسابق فى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر بالقلم .

وفى حاجةٍ إلى التسابق فى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر بالقلب .

وفى حاجةٍ إلى التسابق فى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر باليد .

فأين أنت أخى المسلم من هذا السباق ، وكيف حالك من تلك المسابقة ؟

وأين أنت أختى المسلمة من هذه المسابقة .

إن الأحاديث النبوية التى أرشدتنا إلى هذا الخير أكثر من أن تحصى ، بل لقد حفظ الكثير منا بعضاً من تلك الأحاديث .

ولكن أين العمل بها ؟

وأين الإرشاد إليها ؟

وأين التواصى بها ؟

إن العبد منا إذا لم يقم بالتسابق فى هذا الباب من أبواب الخيرات ، فليعلم علم اليقين أنه محرومٌ .

ولتعلم كل مسلمة أنها خاسرة ما لم تخض فى هذا المضمار .

بل إن المجتمع بأسره سيشعر بالخسارة ، وسيتألم عند الندامة والحسرة بسبب التفريط فى هذا الباب العظيم .

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

قال أبو الدرداء رضى الله عنه :

« لتأمرن بالمعروف ،لتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم سلطاناً ظالماً ، لا يجل كبيركم ، ولا يرحم صغيركم ، ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم ،

وتستنصرون فلا تنصرون ، وتستغفرون فلا يغفر لكم »

نعم والله ، إنها خسارة فداحة ، ومصيبة عظمى أن يفرط العبد المؤمن فى هذا الباب من أبواب الخير .

إن المرء إذا لم يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر فهو عند الله تعالى ليس من الأحياء ، إنما هو فى عداد الأموات .

لقد سئل حذيفة - رضى الله عنه - عن ميت الأحياء ، من هو ؟

فقال رضى الله عنه : الذى لا ينكر المنكر بيده ، ولا بلسانه ، ولا بقلبه .

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

إذا لم نتسابق فى هذا الباب من الخيرات ، فلنعلم أننا من أصحاب القلوب المنكوسة .

قال على بن أبى طالب - رضى الله عنه - : أول ما تغلبون عليه من الجهاد : الجهاد بأيديكم ، ثم الجهاد بألسنتكم ، ثم الجهاد بقلوبكم ، فإذا لم يعرف القلب المعروف ، ولم ينكر المنكر ، نكس فجعل أعلاه أسفله .

فهل ترضى لنفسك أخى المسلم بأن تكون من أصحاب القلوب المنكوسة ؟

وهل تقبلى أختى المسلمة أن يكون هذا هو حالك ؟

هيا أخى المسلم تسابق فى هذا الباب ، وقل الحق وإن كان مُرّاً .

وهبى أختى المسلمة ، وذكرى بالله ، وانصحى فى الله .

هلما بنا جميعاً نأمر بالمعروف ، وننهى عن المنكر ، عسانا أن نفوز برحمة الله ورضوانه ، وننجو من سخطه وعقابه .

من أنواع التسابق فى الخيرات
كثرة التوبة والاستغفار

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

من أبواب الخير التى تناساها الناس فى عهدنا هو كثرة التوبة ، وتجديد الاستغفار بين كل حينٍ وحين .

فما نجا من نجا فى يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة إلا بالتوبة النصوح .

وما فاز من فاز فى يوم الفوز الأكبر إلا بالتسابق فى الاستغفار .

لذا كان سلفنا الصالح مع ما هم عليه من علمٍ وعملٍ ، وزهدٍ وورعٍ ، كانوا قليلاً ما ينامون ، وكانوا بالأسحار يستغفرون .

ومع ما كانوا عليه من خيرٍ كثيرٍ كان الواحد منهم يقول :

« استغفارنا يحتاج إلى استغفار »

ويقول الآخر : « طوبى لمن صحت له خطوة لا يريد بها إلا وجه الله تعالى »

هكذا كانوا . ولكن خلف من بعدهم خلفٌ ساروا وراء الشهوات ، وتهالكوا على الفانيات ، وزهدوا فى الباقيات الصالحات ، فقاموا بالمعاصى فى الليل والنهار ، فى السر والعلانية ، ولا يستحيون من العلى القهار ، وما فطنوا إلى أنه المتكبر الجبار . فخسروا خسراناً مبيناً ، وسيندمون ندماً عظيماً ، إلا إذا عادوا إلى الحليم الغفار .

إن الله قد دعانا إلى التوبة والاستغفار معاً ، فقال عز وجل :

﴿ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾[٦٤].

---

(٦٤) سورة المائدة : ٧٤ .

ولقد علم السلف الصالح فضل ذلك ، فعملوا له حتى ذكروا أن من الظالمين من لم يقم بهذا .

قال مجاهد رحمه الله : من لم يتب كل صباحٍ ومساءٍ فهو من الظالمين .

وعلموا رحمهم الله ، ورضى الله عنهم ، أن العبد منا لا يطيق عذاب الله وغضبه ، فأرشدونا إلى ما هو خير لنا .

قال عبد الله بن حبيب رحمه الله : إنكم لن تطيقوا غضب الله تعالى عليكم ، كلما عصيتموه ، فأمسوا تائبين ، وأصبحوا كذلك تائبين .

يقول ابن الجوزى رحمه الله :

يا صاحب الخطايا أين الدموع الجارية ؟

يا أسير المعاصى ابك من الذنوب الماضية .

يا مبارزاً بالقبائح أتصبر على الهاوية ؟

يا ناسياً ذنوبه والصحف للمنسى حاوية .

أسفاً لك إذا جاءك الموت وما أنبت ، واحسرة لك إذا دعيت إلى التوبة فما أجبت .

كيف تصنع إذا نودى بالرحيل ، وما تأهبت ؟

ألست الذى بارزت بالقبائح وما راقبت[٦٥].

أخى المسلم ...

إننا فى حاجةٍ إلى توبةٍ نبغض فيها العيوب ، ونستغفر من الذنوب .

---

(٦٥) التبصرة (٢٨/١) .

إننا فى حاجةٍ إلى توبةٍ فيها ندمٌ بالقلب ، واستغفارٌ باللسان ، وإقلاع عن الذنب .

إننا فى حاجةٍ إلى استغفارٍ يغسل لنا ذنوبنا ، ويجدد إيماننا .

إننا فى حاجةٍ إلى استغفارٍ يحرك هممنا إلى الدرجات العلى .

أخى المسلم ... أختى المسلمة ..

هذه صفات التائب المستغفر ، العائد النادم ، يصفها لنا بان الجوزى فيقول : « لو رأيت التائب لرأيت جفناً مقروحاً ، تبصره فى الأسحار على باب الاعتذار ، سمع قول الإله يوحى فيما يوحى :

﴿ توبوا إلى الله توبة نصوحا ﴾[٦٦].

مطعمه يسير ، وحزنه كثير ، أنحل بدنه الصيام ، وأتعب قدمه القيام ، فبذل جسداً وروحاً .

﴿ توبوا إلى الله توبة نصوحاً ﴾

أين من يبكى جنايات الشباب التى بها اسودَّ الكتاب .

أين من يأتى إلى الباب يجد الباب مفتوحاً .

﴿ توبوا إلى الله توبة نصوحاً ﴾

يا نادماً على الذنوب أين أثر ندمك ؟

أين بكاؤك على زلة قدمك ؟

أين حذرك من أليم العقاب ؟

أين قلقك من خوف العتاب ؟

---

(٦٦) سورة التحريم : ٨ .

أتعتقد أن التوبة قولٌ باللسان ، إنما التوبة دواء يطهر الإنسان .

جرد قلبك من الأقذار ، ثم ألبسه الاعتذار ، ثم حله حلة الانكسار ، ثم أقمه على باب الدار .

إخوانى ذهبت الأيام ، وكتبت الآثام ، وإنما ينفع الملام متيقظاً ، والسلام[٦٧].

هيا أخى المسلم تسابق فى كل يومٍ بمزيدٍ من التوبة والاستغفار .

هيا أختى المسلمة جددى إيمانك بتوبة واستغفار .

هيا بنا جمعياً ندخل فى أمنٍ وأمان ، وراحة واطمئنان .

* * *

---

(٦٧) التبصرة (١/٣٦٥) .

خاتمـــة

وبعد ...

هذا آخر ما وصلنا إليه فى المسابقة إلى الخيرات ..

وحتى نلتقى سوياً مع كتابٍ آخر فى سلسلة صفات عباد الرحمن .

أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه .

وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

والحمد لله الذى بنعمته تتم
الصالحات .

الفهرس العــام

* * *

رقم الإيداع
١٩٨٩ / ٩٢١٣

مطابع دار الطاعة والنشر الإسلامية
مدينة العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ ت : ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانىء الأندلسى ت : ٦١٨١٣٧

سلسلة من صفات عباد الرحمن

أخى المسلم : حرصا منا على إحياءً الفضائل والقيم والتى ربما طمست فى قلوب البعض أخرجنا هذه السلسلة لإحياء هذه الفضائل التى غرسها الإسلام فى نفوس أوليائه فكانوا سادة العالم . وهذه هى سلسلة الرسائل :

[١] التواضع
[٢] الحياء
[٣] المروءة
[٤] الزهد
[٥] القناعة
[٦] التوبة
[٧] العفة
[٨] المحبة
[٩] صلة الرحم
[١٠] الورع
[١١] التقوى
[١٢] الإخلاص
[١٣] الصبر
[١٤] الحلم
[١٥] حفظ السر
[١٦] التوكل
[١٧] الكرامة
[١٨] الكرم والسخاء
[١٩] الوفاء بالوعد والصدق فى العهد
[٢٠] الإيثار وحب الخير
[٢١] السماحة «العفو والإحسان .. وحسن الخلق»
[٢٢] الخوف والرجاء
[٢٣] الوقار – والسكينة
[٢٤] الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
[٢٥] الحمد والرضا بالقضاء
[٢٦] الإصلاح بين الناس
[٢٧] الاستخارة والمشاورة
[٢٨] قضاء الحوائج
[٢٩] طيب الكلام
[٣٠] المسابقة إلى الخيرات
[٣١] الشكر

دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر والتحقيق والتوزيع